

مقام المرأة

في مصر القديمة

للدكتور باهور لبيب
المدرس بجامعة فؤاد الاول سابقاً

مقام المرأة من الوجهة الاجتماعية

تمتد الزوجات لم يكن معروفاً عند قدماء المصريين إلا أنه كان للرجل المومس الحق في أن يسم إليه كثيرات من المقتنيات والجواري كما أنه كان للملك الحق في أن يتخذ ال جانب زوجته الشرعية (الملكة) زوجات أخريات لاحقاً لمن في ورائة العرش . وكانت الزوجة تعرف باللغة المصرية القديمة بما معناه « زوجته المحبوبة وربة الدار » . فكانت هي التي تشرف على ادارة المنزل وتربية الأطفال بجانب اهتمامها بزوجها وبجانب هذا الشأن الذي لها في حياة الأسرة وقيامها فقد كانت ذات شأن في الحياة العامة كما سنرى ذلك فيما بعد .

واهتمامها بالمنزل وبأمرتها لم يكن حائفاً لها عن التزين والتأنق فكانت تخطب أنامل يديها وأصابع قدميها وتكحل عينيها وتلون شفطيها باللون الاحمر كما تفعل المرأة الحديثة في أيامنا ولكن بطريقة تختلف عن الطريقة المصرية لانها كانت تستعمل التمشاة عند التلويح (راجع الصورة على الصفحة التسالفة) وتضع على وجهها مختلف المساحيق التي تظهرها بالمظهر الفتان وكانت تجمد شعرها بحسب العادة الجارية في عصرها وكانت تزين صدرها وعنقها ويديها بالخلى والجواهر .

والادب المصري تلمز بالمعارات التي تبين حب الابن لأمه والابنة لأمها وكذلك تلمز بالمعارات التي تبين علاقة الرجل بأمراته فكان يقلبها ويداعبها ويمانتها ويمامها بالحنى ولا يهجرها وكذلك يتيح لنا هذا الادب شيئاً كثيراً عن خرائط الزارة والرجل وما بينهما من صلات الصداقة والمحب .

وعلى سبيل المثال أورد القصة الآتية وهي مكتوبة على ورقة بردية محدوشة بنحف ليدن وهي أن رجلاً مرض بعد وفاة زوجته فاشارة أحد الصحرة في ذلك الأخير أن يكتب

يدعى « خنوم ردى » بأنه كان أميناً لمكتبة سيدة عظيمة القدر تدعى « ثرو وكايث » ثم يقول ما ترجمته : « هذه السيدة عينتى في دندرة مشرقاً على خزانة الكتب الخاصة بأما تلك السيدة التي كانت مولعة بالعلوم والفنون » ونجد بعد ذلك أن هذا الموظف ابتدأ يعف ما قام به من أعمال عظيمة في أثناء ادارته لتلك المكتبة فيقول : — « أنا قد زدت عدد مجاميع الكتب الموجودة

بها واستحضرت لها كثيراً من المؤلفات القيمة حتى أنها لم تعد في حاجة الى توسيع أكثر من ذلك على ما أعلم ورتبت هذه المكتبة ترتيباً حسناً لم يحدث مثله من قبل.

وقد ربطت ما كان مفصلاً كوكاً (يعني أنه ربط لغات البردي المحلولة) .

وأما من الوجهة الدينية فقد كان للمرأة كامل حقوقها في التصرف في أموالها والتصرف في عقارها دون الرجوع الى زوجها أو ابنها أو فرد آخر من عائلتها فعلى سبيل المثال تصرفت أم « انزولف أمق » بكامل حريتها في ملكها بالوسيلة والهبة

خطاباً الى روح زوجها فكذب اليها خطاباً وذهب به الى مقبرتها في احد الاعياد وقرأه بصوت عالٍ ثم ربطه بتمثالها حتى يصل اليها وقد جاء فيه : « أي ذنب جيتته نحوك أيها الحبيبة حتى أقع فيها أنا فيه من بؤس وشقاء ؟ أي ذنب جيتته أيها الحبيبة حتى تساعدي أرواح الشر ضدي وماذا فعلت منك من ساعة زفتنا الى اليوم . زوجتك وقد كنت رجلاً يشغل منصباً صغيراً ؟ وتدرجت

بندها من منصب الى منصب وما جال بخاطري يوماً أن أهرك وما فكرت أبداً في ان أجلب الحزن الى قلبك . ذلك كان شعوري يوم كنت صغيراً وما تحولت عنه لما

صرت كبيراً في خدمة فرعون . فلم أهرك بل حافظت عليك في السراء والضراء . . . وعندما مرضت ألم أحضر لك كبير الأطباء فبذل كل شيء في سبيل شفائك . . . أي لا أعلم يوماً نصرت في وحيي نحوك » وقد كان للمرأة المصرية القديمة حظ موقور في الثقافة مما يسترعي النظر . فالسيدات الصريات كن مولعات بالعلوم والفنون . فعلى سبيل المثال يحدثنا موظف



مقام المرأة من الوجهة السياسية

وكان نظام الحكم المصري يبيح للمرأة حق تولي عرش مصر فلم تقمدها الأنوثة عن ركوب الصواب فشارك الرجل في هذا الجهاد وتاريخ مصر القديم حافل بمدد وان من شهرات النساء اللواتي جلسن على عرش مصر . في الدولة القديمة نجد الملكة نيتوكريس (خنت كاواس ٢) وفي الوسطى « سبك نفرو رع » وفي الحديثة الملكة حانشبوت وفي عهد البطالسة الملكة كليوباترة (الاخيرة وأعني كليوباترة آخر من تولي عرش البطالسة وقد أخفقت في سياستها ومدد وراثتها سنة ٣٠ ق. م دخلت مصر تحت حكم اغسطس قيصر روما) . ومأقصر في مقال اليوم الكلام على الملكة حانشبوت التي آمدت من اعظم الملكات اللواتي عرفهن التاريخ القديم وهي التي حكمت مصر (من سنة ١٤٩٣ ق. م الى سنة ١٤٧٩ ق. م)

وتركت لنا آثاراً كثيرة كما انه وصلنا شيء كثير عن بعض موظفي هذه الملكة وبتناز عهدهما بأنه عهد سلام ووثام مع الممالك المجاورة لمصر فذلك تكنت من ان توجه عنها الى اعمال السلام بالرغم من المنازعات الداخلية التي نشأت من المنازعات العائلية بسبب التنازع على العرش وبسبب زيادة نفوذ كبار كهنة آمون . وقد ساعدتها على تنفيذ الاعمال الصلبة حروب والدها تحتمس الاول وكذلك انمارك التي خاض غمارها اخوها وزوجها الاول تحتمس الثاني وهي المعارك التي ثبتت اركان الامبراطورية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى صغر سن تحتمس الثالث ابن زوجها الاول تحتمس الثاني من زوجة ثانية . فكل هذه الظروف ساعدتها على ان تكون على جانب عظيم من القوة والدهاء

وقد امتلكت هذه الملكة مناجم شبه جزيرة سيناء سواء في صر بوت الختام او في وادي القارة فأرسلت هناك البعثات لتوالي البعثات للحصول على مسحوق معدن النحاس والمواد الأولية اللازمة لعمل الزجاج

تقد وجدنا كثيراً من الزجاج في هذه الجهة جاملنا اسم هذه الملكة وطبيعي ان صناعه استلذت وقرداً كثيرة مما يدل على استعمال الكثير من الخشب مما يجعلنا رجح غناء هذا الاقليم بالاشجار ولم يكن صحراء جرداء كما هو مشاهد الآن

كذلك اهتمت الملكة حانشبوت بالمعادن كما كثرت من تشييدها ولعل أهم ما شيدها معبدها المعروف « بمبيد الدير البحري » وقد سمى بهذا الاسم حتى لا يختلط علينا في العصر المسيحي مع دير آخر ابي في الجهة القليلة واقصد هو « دير المدينة » ويذكر ان مبيد الدير البحري من ثلاث ثمرات بدرجة والتمرنة الملبيا تنهي بعف من المجرات وقد في هذا

المعبد حوالي السنة الثامنة من حكم الملكة حاتشيبوت . ومن حسن الحظ انه وصلنا اسم المهندس الذي شيده وهو « من إن موت »
 اما الذي كان الاشراف على صنع ابراهيم التي من البرز المطعم بخليط من الذهب والفضة فهو احد رؤساء المالية الذي يدعى « نخوتي »
 ومن المناظر والنصرص انني وصلنا من هذا المعبد والتي لها منزلة تاريخية فيما يخص عصر هذه الملكة ، تلك التي توضح لنا طريقة ولادة الملكة حاتشيبوت بناء على وحي اطي من الاله آمون (إله الدولة في ذلك الحين) وما ثبت حق الملكة الشرعي في الاستيلاء على عرش مصر

وقد أرسلت الملكة حاتشيبوت بثة تجارية الى بلاد بنت (الصومال) ففي السنة التاسعة لحكمها نجدها تحمل اسطولاً مكوناً من خمسين سفينة ينقلع من المياه المصرية قاصداً الصومال متبعاً نهر النيل شمالاً حتى يصل شرقي الدلتا ومن شرقي الدلتا نجد الاسطول يعبر قناة وادي طيلات (قرب اقليم السويس) الى البحر الاحمر^(١)

ثم بعد وصول الاسطول سالماً الى بلاد بنت يعود الى مصر محملاً بخيرات بلاد الصومال وتستقبل الملكة حاتشيبوت قائده ورجاله في الصكرتك بطيبة وتقدم للعبود آمون بعض واردات الصومال

ومن اهم ما شيدهته هذه الملكة ايضاً من الآثار ما اضافته الى معبد آمون بالكرنك واقامتها مسلتين عظيمتين فيه

واخيراً نعلم ان ثروة المملكة المصرية في ذلك الحين بلغت درجة من الرخاء عظيمة وكانت جزيرة المستعمرات تعمل الى مصر بانتظام. بل من طريف ما قالته هي عن عصرها « انها تكيل المادن النفيسة كالحبوب اي بالمكاييل الكبيرة »
 فالمرأة ساهمت تقريباً في كل ناحية من نواحي الحياة في مصر القديمة فكان فيها ملكات وكذلك كاهنات في النمايد وطيبيات وكاتبات وموظفات وربات منزل ومعنيات

(١) لاحظ ان اقدم اتصال بين البحر المتوسط والبحر الاحمر كان عن طريق افانك فروع النيل البرقية بينه النابويوجن ترجمه ان ما قبل عصر هذه الملكة أي الى عهد الملك سوسرت الثالث — وراجع لوجه عامة عن فروع النيل لسمعة ن كتاب حبيزة صاحب السور الامم — عمر خوسون « تاريخ خليج الاسكندرية القديم ونزعة الحمودية »